

المعرفة وفلسفة العلم محاولة لفهم الطبيعة الإشكالية للمعرفة البشرية

فضل عباس محسن ال فرج الله

قسم الفلسفة - المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة اللبنانيـة، بيـروـت

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث المشكلة الأساسية التي تواجه المعرفة الإنسانية، وهي طريقة اكتساب العقل للمعارف والمعلومات المختلفة، فما هي الطريقة المثلث؟ وما هي القيمة المعرفية والعلمية لهذه المعرف من الناحية المنهجية؟ وأيضاً ما هو مدى الحدود التي يستطيع العقل البشري التحرك من خلالها في عملية الكسب هذه بناءً على سعة أو محدودية هذه القدرات عنده؟ وكذلك ما هي تأثيرات العلوم الطبيعية الحديثة وفلسفتها على تطور البحث المعرفي؟ على الرغم من أن الإنسان في مجالات العلوم المختلفة لا ينفك إلى طريقة تفكيره، لأنـه يـفكـر ويـستـنـجـ ويـحلـلـ ويـركـبـ بـطـرـيقـةـ تـلـقـائـيـةـ، إلاـ انـ هـذـهـ المـسـأـلـةـ تـخـتـافـ عـنـدـمـاـ تـبـحـثـ فـلـسـفـيـاـ، حيثـ تـكـمـنـ الـحـاجـةـ لـلـبـحـثـ فـيـمـاـ وـرـاءـ الـوـاقـعـةـ الـعـلـمـيـةـ اوـ الـاجـتمـاعـيـةـ منـ أـجـلـ تـحـدـيدـ التـسـلـسلـ الـمـنـطـقـيـ الـذـيـ تمـ منـ خـالـلـ الـوصـولـ إـلـىـ النـتـائـجـ،ـ والـبـحـثـ عـنـ قـيمـتـهاـ وـحدـودـهـاـ مـنـ نـاحـيـةـ مـعـرـفـيـةـ.ـ وـقـدـ استـخدـمـ هـذـهـ الـبـحـثـ الـمـنـهـجـ الـوـصـفـيـ فـضـلـاـ عـنـ الـاسـتـعـانـةـ بـآـلـيـاتـ الـنـقـدـ مـثـلـ الـتـفـكـيـكـ وـالـتـحـلـيلـ وـالـتـرـكـيبـ الـمـنـطـقـيـ،ـ وـمـنـ خـالـلـ ذـلـكـ نـسـتـكـشـفـ أـنـ هـذـاـ اـتـجـاهـينـ أـسـاسـيـنـ فـيـ تـارـيـخـ الـفـلـسـفـةـ وـالـمـنـطـقـ عملـ كـلـ مـنـهـمـاـ عـلـىـ بـيـانـ طـرـقـ اـكـتسـابـ الـمـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـمـصـادـرـهـاـ وـحدـودـهـاـ،ـ وـهـمـاـ الـاتـجـاهـ الـعـقـليـ وـالـاتـجـاهـ الـتـجـريـبيـ.ـ أـمـاـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـحـدـيثـ وـالـمـعاـصـرـةـ فـقـدـ ظـهـرـتـ أـهـمـيـةـ الـعـمـلـ عـلـىـ مـنـاهـجـ الـبـحـثـ فـيـ الـعـلـومـ،ـ فـيـمـاـ أـصـبـحـتـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ مـجـالـاـ مـمـيـزاـ فـيـ الـبـحـوثـ الـمـعـرـفـيـةـ الـمـعاـصـرـةـ،ـ حـيـثـ نـهـدـفـ هـنـاـ إـلـىـ عـرـضـ هـذـهـ الـاـتـجـاهـاتـ الـمـعـرـفـيـةـ مـعـ بـيـانـ الـطـبـيـعـةـ الـإـشـكـالـيـةـ لـمـسـأـلـةـ الـمـعـرـفـةـ الـبـشـرـيـةـ.ـ كـمـاـ أـنـ الـاسـتـنـتـاجـ الـأـهـمـ الـذـيـ توـصـلـ إـلـيـهـ الـبـحـثـ هـوـ:ـ انـ الـمـعـرـفـةـ سـتـبـقـ ذاتـ طـبـيـعـةـ إـشـكـالـيـةـ دـائـمـةـ،ـ لـأنـهـ سـؤـالـ دـائـمـ وـكـلـ إـجـابـاتـ الـتـيـ تـرـدـ إـلـيـنـاـ هـيـ أـبـوـابـ لـأـسـنـلـةـ جـديـدةـ،ـ وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـونـ إـجـابـاتـ نـهـائيـةـ أوـ مـطـلـقـةـ.ـ وـمـنـ الـجـديـرـ ذـكـرـهـ أـنـ أـغـلـبـ الـكـتبـ الـمـنـطـقـيـةـ وـالـدـرـاسـاتـ الـتـيـ عـالـجـتـ نـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ وـعـلـمـ الـمـنـاهـجـ وـفـلـسـفـةـ الـعـلـومـ قدـ تـنـاـولـتـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ وـمـنـ زـوـاـيـاـ مـخـلـفـةـ بـحـسـبـ الـاتـجـاهـ الـمـعـرـفـيـ الـذـيـ تـتـبـنـاهـ.

الكلمات المفتاحية: نظرية المعرفة، فلسفة العلم، الأبستمولوجيا، الاتجاه العقلي، الاتجاه التجريبي.

على الرغم من أن حقل (المعرفة وفلسفة العلم) يعد من أهم حقول الفلسفة المعاصرة إلا أن المتتبع له يجد في كثير من الأحيان صعوبة بالغة في تحديد ماهية وحقيقة الوجهة التي يحاول الوصول إليها، لاسيما مع الاختلاف في ادراك ما تدل عليه هذه المفاهيم، وصعوبة الاتفاق في ذلك أو الخروج برأوية واحدة - او على الأقل - واضحة عنها.

فمثلاً تجاذب مفهوم فلسفة العلم بين اتجاهين متعارضين إلى حد ما هما الاتجاه الفرنسي والاتجاه الانكلوسكوني. فيما يرى بعض الباحثين أن هذا التجاذب في جوهره قد لا يتعدى فكرة توسيع المفهوم أو تضييقه، وهذا المعنى لا يعد تبسيطًا لحقيقة الاختلاف بين هذين الاتجاهين إلا أنه محاولة لفهم مدى اتساع دائرة هذا الحقل الجديد من المعرفة ليشمل علم المناهج، والدراسة النقدية الفلسفية لقضايا العلم، ونظرية المعرفة.

او فهم ضيق هذه الدائرة لتشمل فقط الدراسة الفلسفية لطبيعة الكشوفات العلمية لاسيما في مجال الفيزياء، حيث الخروج باستنتاجات أساسية تفيد في فهم قضايا العلم ومن ثم رسم خارطة طريق للتعامل معها سواء في المستوى العلمي ذاته أم في القضايا الأخرى التي تتصل به. ان هذا البحث هو محاولة لفهم مدلولات المعرفة البشرية من خلال وصلها بعمقها التاريخي من جهة، ومعرفة المديات التي تحاول الوصول إليها من جهة أخرى.

أولاً: تحديد المفاهيم (Defining Concepts)

يواجه الباحث في هذا المجال ثلاثة مفاهيم أساسية يقدم كل واحد منها صورة أو اتجاهًا معرفياً معيناً، وهذه المفاهيم هي: الابستمولوجيا، ونظرية المعرفة، وفلسفة العلم. وبغية الدخول المنهجي لدراسة هذا الموضوع ينبغي أن تحدد هذه المفاهيم وفق ما درست على مستوى المعاجم والموسوعات الفلسفية، حيث نريد هنا أن نبين المعنى العام الأولي لهذه المفاهيم بغض النظر عن التجاذبات المعرفية الكبيرة التي تستتبعها والنقاشات الكثيرة التي دارت حولها.

١. الابستمولوجيا (Epistemology)

من ناحية لغوية فإن هذا المصطلح له أصول يونانية وهو مركب من (episteme) التي تعني (العلم) و(logos) التي تعني (علم) ايضاً او (نقد)^(١). ولهذا يمكن ان يقال انها أي (Epistemology) تعني من حيث اللغة (علم العلوم) او (الدراسة النقدية للعلوم). أما من ناحية الاصطلاح فإن (الايند) يحدد هذا المفهوم على انه (فلسفة العلوم) اي أنها بحسب ما يقول "الدرس النقدي لمبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها، الرامي إلى تحديد اصلها المنطقي، وقيمتها ومداها الموضوعي"^(٢).

وبشكل عام فإن الابستمولوجيا تعني الدراسة العقلية للنتاج العلمي وتحليله تحليلًا منطقيًا يستهدف تحديد مساره وأثر نتائجه على الواقع المعرفي والأخلاقي وغيرهما. بعيداً عن تحديد مصدر هذه المعرفة وحدودها.

٢. نظرية المعرفة (Theory of knowledge)

ابتداءً فإن نظرية المعرفة هي محاولة للبحث عن امكانية قيام نظام معرفي يحدد نظرة الإنسان إلى الوجود والكون والحياة بشكل عام، بمعنى انها تبحث في السبيل المناسب للوصول إلى معرفة شيء ما. كما انها ترتبط "بماهية المعرفة، وحدودها، وموضوعاتها، والعلاقة بين الذات العارفة والموضوع والمضمن"^(٣).

ولهذا فإن البحث في نظرية المعرفة ينصب عادة على مصدرها وادواتها وحدودها وقيمتها. ومن هذا المنطلق فقد تتنوع المذاهب الفلسفية بناءً على الاختلاف الاساسي في

نظريّة المعرفة وقد كان (مصدر المعرفة) المفهوم الأساسي الذي أدى إلى انشطار الفكر الفلسفـي تارـيخـاً إلى اـهم اـتجـاهـين وـهـما: الـاتـجـاهـ العـقـليـ الذي يـعـدـ العـقـلـ المـصـدرـ الـوـحـيدـ مـعـرـفـياـ. وـالـاتـجـاهـ التـجـريـبيـ الذي يـرـىـ فيـ الحـسـ وـالـتـجـربـةـ مـصـدرـاـ أوـحـدـاـ لـمـعـرـفـةـ الإنسـانـيـةـ^(٤).

٣. فلسفة العلم (Philosophy of science)

إن فلسفة العلم من حيث المفهوم لا تختلف كثيراً عن مفهوم الاستنولوجيا، فقد وجـدـناـ (الـالـانـدـ) مـثـلاـ يجعلـهـماـ فيـ مرـتـبةـ وـاحـدةـ حيثـ يـعـرـفـ الـاخـيرـةـ عـلـىـ انـهـ (فلـسـفـةـ العـلـوـمـ). غيرـ أنـ طـبـيـعـةـ التـشـعـبـ وـالـتوـسـعـ الـذـيـ طـرـأـ عـلـىـ هـذـاـ المـجـالـ لـاـسـيـماـ فيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ جـعـلـ منـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ مـصـطـلـحاـ وـمـفـهـومـاـ مـعـقـداـ إـلـىـ حدـ ماـ وـيـصـعـبـ تحـديـدـ مـسـارـهـ بـالـضـبـطـ، لـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـعـنيـ عـدـ اـمـكـانـ الخـروـجـ بـفـكـرـةـ عـنـهـ.

ذلكـ انـ الـعـلـمـ اـذـ كـانـ لـاـ يـفـكـرـ فـيـ ذـاتـهـ -ـ كـماـ يـقـولـ مـارـتنـ هـايـدـغـرـ -ـ فـانـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ هيـ التـيـ سـوـفـ تـقـوـمـ بـعـمـلـيـةـ التـفـكـيرـ الـمـنـطـقـيـ وـالـتـحـلـيلـ الـعـقـلـيـ لـمـسـائـلـ الـعـلـمـ وـفـيـ ذـلـكـ تـقـوـلـ الدـكـتـورـةـ يـمـنـىـ طـرـيفـ الـخـوليـ: "إـذـاـ كـانـ الـعـلـمـ لـاـ يـفـكـرـ فـيـ ذـاتـهـ، فـانـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ هيـ التـيـ تـتـكـفـلـ بـذـلـكـ الـعـبـءـ وـتـضـطـلـعـ بـالـتـفـكـيرـ فـيـ ذـاتـ الـعـلـمـ. فـيـ مـنهـجـهـ وـمـنـطـقـهـ وـخـصـائـصـ الـعـرـفـةـ الـعـلـمـيـةـ وـشـرـوـطـهـ وـطـبـائـعـ تـقـدـمـهـاـ وـكـيـفـيـاتـهـ وـعـوـافـلـهـ"^(٥). وـفـيـماـ يـقـصـرـ الـكـثـيرـ مـنـ الـبـاحـثـيـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ مـعـ اـعـطـاءـ الـبـحـثـ فـيـ تـارـيـخـ الـعـلـمـ اـهـمـيـةـ ضـمـنـ هـذـاـ الـمـجـالـ، فـإـنـ ثـمـةـ بـعـضـ الـبـاحـثـيـنـ وـتـحـديـدـاـ الـأـمـرـيـكـانـ يـرـوـنـ أـنـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ مـوـضـوعـ مـتـسـعـ وـكـبـيرـ وـيـشـمـلـ مـجـالـاتـ أـرـبـعـةـ هـيـ:

١. دراسـةـ الـعـلـمـ بـوـصـفـهـ ظـاهـرـةـ اـجـتمـاعـيـةـ.
٢. عـلـاقـةـ الـعـلـمـ بـالـقـيـمـ الـإـنسـانـيـةـ.
٣. اـقـامـةـ فـلـسـفـةـ لـلـطـبـيـعـةـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ الـعـلـمـ.
٤. التـحـلـيلـ الـمـنـطـقـيـ لـلـغـةـ الـعـلـمـيـةـ^(٦).

وبـعـضـ النـظـرـ عـلـىـ هـذـاـ التـحـلـيلـ الـبـعـيدـ الـمـدـىـ فـانـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ بـهـذـاـ الـمـعـنـىـ هيـ تـتـوـيجـ لـمـفـهـومـ الـاـسـتـمـولـوـجـيـاـ وـهـيـ النـسـخـةـ الـمـعاـصـرـةـ مـنـهـ، الـتـيـ كـانـ لـلـعـلـمـ الـحـدـيـثـ لـاـسـيـماـ فـيـ مـجـالـ الـفـيـزـيـاءـ تـأـثـيرـهـ الواـضـحـ فـيـهاـ.

ثـانـيـاـ: قـيـمةـ الـمـعـرـفـةـ وـحـدـودـهـاـ (The Value and Limits of Knowledge)

منـطـقـيـاـ تـرـتـبـ الـقـيـمةـ الـمـعـرـفـيـةـ لـلـأـفـكـارـ بـمـبـدـأـ الصـدـقـ اوـ المـطـابـقـةـ لـلـوـاقـعـ الـذـيـ عـلـيـهـ الـأـشـيـاءـ، فـهـلـ قـيـمةـ مـعـارـفـنـاـ فـيـ كـوـنـهـاـ نـابـعـةـ مـنـ ذـوـاتـنـاـ الـعـارـفـةـ فـحـسـبـ أمـ لـكـونـهـاـ مـطـابـقـةـ لـحـقـيقـةـ مـوـضـوعـ الـمـعـرـفـةـ الـمـسـتـهـدـفـ؟ـ وـعـلـيـهـ قـدـ يـقـالـ إـنـ الشـعـورـ الدـاخـلـيـ بـالـبـيـقـنـ الـذـيـ تـنـتـجـهـ ذـاتـيـ يـجـعـلـ الـمـعـرـفـةـ الـمـتـصـلـلـ بـهـ صـادـقـةـ وـحـقـيقـيـةـ بـغـضـ النـظـرـ عـنـ الـوـاقـعـ وـمـطـابـقـتـهـ لـهـ، ذـلـكـ انـ الـمـعـرـفـةـ هـيـ فـعـلـ الـذـاتـ، وـلـيـسـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ سـوـىـ هـذـاـ فـعـلـ الـذـيـ تـقـوـمـ بـهـ الـفـاهـمـةـ الـبـشـرـيـةـ، كـماـ انـ الـوـاقـعـ الـخـارـجـيـ الـذـيـ نـتـوـهـمـهـ لـيـسـ سـوـىـ هـذـاـ التـصـورـاتـ النـابـعـةـ مـنـ ذـاتـنـاـ^(٧).ـ غـيـرـ انـ هـذـاـ فـهـمـ الـمـعـرـفـةـ فـهـمـ اـبـتـدـعـ بـهـاـ عـنـ وـاقـعـيـتـهـاـ،ـ لـأـنـهـ سـوـفـ يـدـخـلـنـاـ فـيـ اـشـكـالـيـةـ الـمـثـالـيـةـ الـتـيـ تـفـرـغـ الـوـاقـعـ الـخـارـجـيـ لـلـأـشـيـاءـ مـنـ ايـ مـحـتـوىـ وـتـجـعـلـهـ مـجـرـدـ اـطـارـ نـمـلـأـهـ بـالـتـصـورـاتـ وـالـمـفـاهـيمـ الـمـخـلـفـةـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ اـذـهـانـنـاـ فـحـسـبـ.

وـفـيـ الـجـانـبـ الـآـخـرـ نـجـ الـاتـجـاهـ الـذـيـ قـرنـ قـيـمةـ الـمـعـرـفـةـ الـإـنسـانـيـةـ وـحـدـودـ مـدـيـاتـهـ فـيـ كـوـنـهـاـ صـورـةـ لـمـاـ هـوـ مـوـجـودـ مـنـ اـشـيـاءـ فـيـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ..ـ بـمـعـنـىـ انـ الـمـعـرـفـةـ الـصـادـقـةـ سـوـفـ تـكـونـ هـيـ الـمـعـرـفـةـ الـتـيـ تـجـدـ مـاـ يـقـابـلـهـ فـيـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ،ـ وـلـهـذـاـ فـانـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ

جعل معيار الصدق والكذب في آية معرفة إنسانية هو الواقع الخارجي، فما دام يمكن ان نجد معياراً موضوعياً خارجياً للصور الموجدة في اذهاننا فإننا نستطيع ان نحكم عليها بالصدق وأنها حقيقة، أما اذا لم نجد لها هذا المعادل الموضوعي فإننا سوف نحكم عليها بانها كاذب ولا حقيقة لها^(٨). وعلى الرغم من ان هذا الاتجاه اعاد للواقعية قيمتها وريادتها إلا انه اصطدم بعجزه عن تفسير الكثير من المعارف التي يعتقد الانسان بصحتها وبداهة ووضوح بعضها ولكنها في ذات الوقت لا تجد معادلاً خارجياً. مثل الكثير من قضايا المنطق والرياضيات التي يحكم العقل بثبوتها رغم انها غير موجودة في الواقع فمثلاً يقال منطقياً ان النقيضين لا يجتمعان بمعنى ان هذا الكتاب مثلاً لا يمكن ان يكون (كتاباً) و (لا كتاباً) في ذات الوقت. فرغم بداهة هذه الفكرة وبساطتها الا اننا لا نجد معادلاً خارجياً لها، إذ لم يسبق ان جمع بين النقيضين في يوم من الايام وتم ادراك عدم امكان ذلك انما هذا الحكم كما يقول المناطقة. هو حكم ثابت في العقل وما يقابلـه في الواقع ليس شيئاً واقعـياً خارجـياً انما حقيقة ثبوته في العـقل فحسب^(٩).

وعليـه يمكن القـول إن الواقعـية المـتشـدـدة التي قـصـرـت الصـدقـ على التـحـقـقـ في الواقعـ الخارـجيـ قد واجـهـتـ ايـضاـ اـشكـالـيـةـ الـافـكارـ الثـابـتـةـ عـقـلاـ مع عدمـ ثـبوـتهاـ فيـ الواقعـ الخارـجيـ. إـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ هـنـاكـ اـتـجـاهـاتـ مـعاـصـرـةـ جـديـدةـ تـرىـ أنـ كـلـ الـاتـجـاهـينـ لمـ يـسـطـيـعـاـ تـفـسـيرـ طـرـيقـةـ التـفـكـيرـ الإـنـسـانـيـ وـلـمـ يـعـرـفـاـ طـبـيـعـةـ عـلـاقـهـ بـالـوـاقـعـ.

ذلك أن العـقلـ ليسـ مـرـأـةـ لـلـوـاقـعـ بلـ هوـ فـاعـلـ فـيـ تـشـكـيلـ هـذـاـ الـوـاقـعـ مـنـ خـلـالـ مـحاـوـلـاتـ الفـهـمـ الـتـيـ يـقـومـ بـهـاـ،ـ هـذـاـ الـفـهـمـ الـمـوـجـهـ بـعـوـاـمـ ثـقـافـيـةـ وـمـعـرـفـيـةـ مـخـتـلـفـةـ لـاـ يـمـكـنـ حـصـرـهـاـ وـفـقـ سـيـاقـ مـنـطـقـيـ شـكـلـيـ أـوـ صـورـيـ مـحـدـدـ،ـ وـقـدـ تـبـنـىـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ الـفـيـلـسـوـفـ الـأـمـرـيـكـيـ رـيـتـشـارـدـ رـوـرـتـيـ وـغـيـرـهـ مـنـ مـفـكـرـيـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ.ـ مـاـ يـعـنـىـ اـنـنـاـ سـوـاءـ كـنـاـ مـثـالـيـنـ اـمـ وـاقـعـيـنـ اـمـ مـعـاصـرـيـنـ فـانـ مـعـارـفـنـاـ سـوـفـ تـوـاجـهـ اـشـكـالـيـاتـ مـخـتـلـفـةـ تـتـعـلـقـ بـقـيـمـتـهـاـ الـعـلـمـيـةـ وـبـمـدـىـ قـدـرـهـاـ عـلـىـ الـامـتدـادـ اوـ مـدـىـ اـتسـاعـ حـدـودـهـاـ وـشـمـولـهـاـ لـمـخـتـلـفـ مـوـضـوـعـاتـ الـمـعـرـفـةـ.

ثالثاً: المعرفة بوصفها مشكلة (Knowledge as a Problem)

تـكـمـنـ الطـبـيـعـةـ الـاشـكـالـيـةـ لـلـمـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ هـذـاـ التـدـاخـلـ الـعـمـيقـ وـالـخـفـيـ بـيـنـ الذـاتـ الـعـارـفـةـ وـمـوـضـوـعـ الـمـعـرـفـةـ.ـ ذـلـكـ انـ الـمـعـرـفـةـ بـشـكـلـ عـامـ هيـ عـلـاقـةـ بـيـنـ هـذـينـ الـعـنـصـرـيـنـ أيـ الذـاتـ وـالـمـوـضـوـعـ^(١٠)ـ،ـ وـلـاـ يـمـكـنـ انـ نـتـصـورـ مـعـرـفـةـ اـنـسـانـيـةـ قـائـمـةـ الاـ فـيـ هـذـاـ السـيـاقـ.ـ وـمـاـ دـامـ الـحـدـيثـ هـنـاـ عـنـ عـلـاقـةـ اـرـتـباطـ وـتـعـلـقـ،ـ فـهـوـ مـاـ يـجـعـلـ اـيـ مـدـرـكـ مـعـرـفـيـ لـاـ يـمـكـنـ انـ يـنـظـرـ اـلـيـهـ بـوـصـفـهـ مـجـرـداـ عـنـ تـأـثـيرـاتـ الـكـثـيرـةـ الـتـيـ تـضـفـيـهـاـ الذـاتـ عـلـىـ الـذـاتـ عـلـىـ الـمـوـضـوـعـ الاـ اـذـاـ كـانـ الـمـوـضـوـعـ بـذـاتـهـ مـمـانـعـاـ لـاـيـ تـأـثـيرـ ذاتـيـ وـهـذـاـ مـاـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ الـعـلـمـ الـدـقـيقـ جـداـ مـثـلـ عـلـمـ الـرـيـاضـيـاتـ الـذـيـ لـاـ تـقـبـلـ مـوـضـوـعـاتـهـ تـأـثـيرـاتـ الذـاتـ الـعـارـفـةـ اـنـمـاـ يـظـلـ مـجـرـداـ عـنـهـاـ عـلـىـ حـدـ بعيدـ.ـ وـيـتـضـاعـلـ عـنـصـرـ التـجـردـ هـذـاـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ كـلـمـاـ اـصـبـحـ مـوـضـوـعـ الـعـلـمـ الـمـعـنـيـ بـالـمـعـرـفـةـ اـقـلـ دـقـةـ وـاـبـعـدـ عـنـ الـحـسـمـ فـيـ مـسـائـلـهـ الـمـخـتـلـفـةـ،ـ اـلـىـ اـنـ يـصـلـ الـاـمـرـ اـلـىـ الـعـلـمـ الـإـنـسـانـيـ الـتـيـ يـشـهـدـ فـيـهـاـ عـاـمـ الـتـدـاخـلـ بـيـنـ الذـاتـ وـالـمـوـضـوـعـ تـزـايـدـاـ كـبـيـراـ وـهـوـ مـاـ يـجـعـلـ اـغـلـبـ مـسـائـلـهـ غـيـرـ قـابـلـةـ لـلـحـسـمـ مـنـهـيـاـ بـلـ تـظـلـ فـيـ دـائـرـةـ النـقـاشـ دـائـيـاـ وـتـخـضـعـ لـوـجـهـاتـ النـظـرـ الـمـخـتـلـفـةـ.

إـذـنـ يـمـكـنـ القـولـ انـ الـمـعـرـفـةـ حـينـماـ تـوـصـفـ بـأـنـهـاـ مـشـكـلـةـ فـذـلـكـ لـأـنـهـاـ فـعـلـ اـنـسـانـيـ كـسـائـرـ اـفـعـالـهـ الـتـيـ تـمـتـرـجـ معـ الـعـوـاطـفـ وـالـرـغـبـاتـ الـسـيـكـوـلـوـجـيـةـ،ـ وـتـتـدـاـخـلـ مـعـ التـأـثـيرـاتـ الـأـخـرـىـ لـلـوـسـطـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـبـيـئـةـ الـثـقـافـيـةـ الـتـيـ يـعـيـشـهـاـ الـإـنـسـانـ،ـ وـبـالـتـالـيـ فـإـنـ هـذـاـ فـعـلـ سـوـفـ لـنـ

يكون قادرًا على التعامل مع القضايا والمسائل المعرفية بشكل مستقل ومجرد عن هذا التأثيرات.

١. مشكلة الاتجاه العقلي (*Rationalism Problem*)

ظلت مسألة الأفكار القبلية او المفاهيم السابقة على التجربة في الاتجاه العقلي تمثل عموداً اساسياً في وعي هذا الاتجاه ومسيرته عبر تاريخ الفلسفة الطويل، ذلك انه يفترض وجود افكار اساسية في الذهن البشري سابقة على التجربة ويؤمن بها العقل ابتداءً وبداهه هي التي تكون مبدأ عملية التفكير عند الانسان، حيث يعتقد هذا الاتجاه ان المعرفة سوف لن تكون ممكنة من دون هذا الافتراض ، لأن العقل يحتاج ان يقف عند مجموعة من المبادئ والافكار التي لا تحتاج الى مقدمات للإيمان بها بل يكفي تصورها للاعتقاد بها وبصدقها المنطقى^(١)، وبدون ذلك فان باب المعرفة سوف يسد بوجه اي عالم، لأن كل معرفة سوف تكون متوقفة على معرفة اخرى وهذه الاخرى متوقفة على معرفة قبلها.. وهذا التسلسل ممنوع استمراره منطقيا الى ما لا نهاية، مما يسبب الانسداد المعرفي.

إذا عدنا الى افتراض وجود معرفة بدائية سابقة لا تتوقف على معرفة قبلها فإننا يمكن ان نقول - وفقاً لهذا الاتجاه - بان الانسان لن يقع في هذا الانسداد. اما اذا بقيت المعرفة تحتاج دائماً الى معرفة سابقة من دون الوقوف عند نهاية بمعرفة عقلية قبلية فهذا يعني عدم امكان معرفة شيء ، لأن هذه السلسلة سوف تطول بلا نهاية، وهو باطل منطقياً. وعلى الرغم من ان هذه الأفكار القبلية قد شكلت حجر الزاوية بالنسبة للاتجاه العقلي الا انها ظلت مثراً لإشكاليات كثيرة سواء من داخل هذا الاتجاه او من الاتجاه الآخر المعارض وهو الاتجاه التجريبي. فمن الداخل واجهت هذه الأفكار نقداً يتعلق بتصنيفها وتحديدها حيث تعددت التصنيفات الى قبلية واولية وفطرية وحسية ومتواترة وغير ذلك^(٢)، وقد حصل الاختلاف كثيراً في تحديد كل واحدة منها حيث وسع البعض دائرتها لتشمل مجمل القضايا الاساسية في العلوم، في حين قصرها البعض على مجموعة محددة صغيرة مثل مبدأ عدم التناقض ومبادأ السببية ومبادأ الهوية وغيرها فيما وجد البعض انها محدودة جداً لا تتعذر مبدأ عدم التناقض ومصادرات نظرية الاحتمالات^(٣)، وهذا يعني ان المعرفة في الاتجاه العقلي - رغم صرامته ومحاولته الدقة ونشدان اليقين في نتائجه - لم تستطع ان تنهي الطابع الاشكالي لها حتى من داخل هذا الاتجاه ذاته وظللت توصف بانها مشكلة. اما من خارج هذا الاتجاه فقد واجهت هذه الأفكار نقداً لاذعاً مع بداية ظهور الاتجاه التجريبي في الفلسفة لاسيما مع النهضة المعرفية والعلمية التي شهدتها اوروبا قبل انتهاء قرون، فقد انصب نقد فلاسفة الاتجاه التجريبي على الأفكار القبلية نافذ قبليتها وعقليتها وبداهتها ومؤكدين انها ذاتها تحتاج الى اختبارها تجريبياً من اجل الایمان بصدقها، فمثلاً، ليس الایمان بمبدأ السببية سوى حصيلة مجموعة كبيرة من الخبرات والاختبارات التي جعلت الانسان يؤمن بضرورة وجود سبب وعلة لكل معلوم. وهكذا في بقية الأفكار والمبادئ التي افترضها الاتجاه العقلي قبلية وسابقة على التجربة.

كما ان اعتماد الاتجاه العقلي على (القياس) كمبدأ شبه وحيد لاستخلاص المعرفة شكل تحدياً كبيراً امام هذا الاتجاه فيما يتعلق بمسألة نمو المعرفة. ذلك ان المعروف في نتائج القياس هي اما ان تكون مساوية لمقدماتها او اصغر منها ، لأنَّه عملية انتقال من العام الى الخاص بطريقة يمتنع فيها توليد معرفة جديدة على ما تقدمه المقدمات من معطيات سوى في بعض التفاصيل. فعندما نستنتج (زيد يموت) بناء على ربط مقدمة (كل

انسان يموت) مع مقدمة (زيد انسان) فان النتيجة هنا ليست شيئاً جديداً على المقدمات ولا تقدم معرفة جديدة انما هي معرفة متضمنة في المقدمات ولكن بشكل مجمل^(٤). وهذا ما دعا ناقدى الاتجاه العقلى وتحديداً من يعتبر القياس طريقة للمعرفة الانسانية الى القول بان نتائج القياس دائمأ هي تكرار للمقدمات وليس فيها معرفة زائدة عليها، ولهذا فلا يمكن الحديث هنا عن فكرة نمو المعرفة ما دامت المعرفة في القياس تكرارية وليس توليدية.

٢. مشكلة الاتجاه التجربى (Empiricism Problem)

لقد كانت الثورة التي احدثها الاتجاه التجربى على صعيد منهج البحث العلمي كبيرة جداً وألقت بظلالها ليس على الفلسفة فحسب بل على شتى مجالات المعرفة الانسانية. ورغم ان هذا الاتجاه لم يكن جديداً في تاريخ الفلسفة إلا ان غلبة التفكير العقلي خلال الفترات الماضية ركنت التفكير التجربى جانباً لقرون عديدة وهناك دلائل من تاريخ العلم في اليونان وفي العصر الاسلامي مثل ارهاصات المعرفة العلمية عند جابر ابن حيان وغيره.. تشير الى استخدام المنهج التجربى في البحث لاسيمما في مسائل الكيمياء والطب وغيرها^(٥). ابتداءً فقد كان هذا المنهج يعني الاعتماد على الاستقراء في الحصول على النتائج بدلاً من القياس كطريقة للاستدلال، ذلك ان الاستقراء يؤدي باضطراد الى نمو المعرفة، لأن النتائج فيه دائمأ اكبر من المقدمات، ولهذا يقال بأنه يأتي بمعرفة جديدة و ان المعرفة التي يقدمها هي معرفة توليدية وليس تكرارية. فعندما نقول (كل الحديد يتمدد بالحرارة) بناء على مجموعة من الاستقراءات لمجموعة محددة من الجزيئات فإن هذا يعني ان النتيجة الواردة في القضية الاولى (كل الحديد يتمدد بالحرارة) هي نتيجة اتاحت للباحث معرفة جديدة وزائدة على المقدمات لأنها حكمت على الجزيئات الاخرى من الحديد حتى وإن لم تجرب او تستقرأ. وهنا نؤكد ان المنهج الاستقرائي لم يكن وليد النهضة في اوروبا انما كان ضمن الاسس التي ركزها (ارسطو) في منطقه واعتبره أحد أهم طرق الاستدلال.. الا ان سيادة التفكير العقلي على التجربى كما اسلفنا جعلت الاستقراء كمنهج في البحث المعرفي ينزوى لصالح القياس لفترة طويلة من تاريخ المعرفة الانسانية. الى ان جاء الفتح على يد (فرنسيس بيكون) ومن قبله (روجر بيكون) في (الاورغانون الجديد) ليؤسس لمرحلة جديدة قلبت ميزان المعرفة ووضعت اساساً لمنهج معرفي جديد يقوم على الاستقراء والتجربة بدلاً من القياس ذي النتائج التكرارية. غير ان الاستقراء الذي بشر (بيكون) بأنه سوف يفتح عالماً معرفياً جديداً لم يكن خالياً من الاشكاليات ولم يكن بعيداً عن المعوقات المنهجية ولم يكن متجرداً عن طابعه الاشكالى، حيث واجهته مشكلة تتعلق بيقينية نتائجه وامكانية تعميمها على جميع الحالات، وهي ما عرفت في تاريخ المنطق والفلسفة (بمشكلة الاستقراء) التي توضح الخل الناتج عن الانتقال من الخاص الى العام مع عدم وجود المبرر المنطقي الكافى لعملية الانتقال هذه، لأن فيه طفرة ومنطقة فراغ لم تستطع الكثير من المحاولات المنطقية حلها او تقديم المبرر المقنع لها رغم ان المحاولات هذه امتدت من ارسطو ذاته واضع هذا النمط من الاستدلال وحتى الوقت الحاضر.

وقد حاول الكثير من الفلاسفة التجربيين حل هذه الاشكالية مرة على وفق منطق الاحتمالات، ومرة على وفق النفسانية المنطقية، ومرة وفق الاعتماد على بعض المبادئ العقليه.. إلا ان هذه المحاولات جميعاً لم تفلح في ايجاد اجابة شافية ومقنعة للجميع وهو ما

يرسخ الاتجاه الذي نتبناه في هذا البحث في أن المعرفة مشكلة بحد ذاتها ، لأنها بقيت عصية على الوصول إلى حل توافقى بين جميع المعنيين بهذا الشأن.

وهو ما دعا بعض الفلاسفة إلى الغاء فكرة الاستقراء من الأساس واعتباره خرافـةـ سـادـتـ العـقـلـ الـفـلـسـفـيـ لـفـتـرـةـ طـوـبـلـةـ مـنـ دـوـنـ مـبـرـرـ،ـ لـاـنـ الـعـلـمـ لاـ يـعـتـمـدـ فـيـ نـمـوـهـ عـلـىـ الـاستـقـراءـ ،ـ وـإـنـماـ عـلـىـ مـبـدـأـ الـفـرـوـضـ أـوـ الـحـدـوـسـ التـيـ يـتـمـ تـعـزـيزـهـاـ مـنـ خـلـالـ مـبـدـأـ سـمـاهـ (ـكـارـلـ بـوـبـرـ)ـ بـمـبـدـأـ (ـالـتـكـذـيبـ).ـ وـقـدـ نـظـرـ (ـبـوـبـرـ)ـ لـهـذـهـ الـفـكـرـةـ كـثـيرـاـ وـحاـوـلـ أـنـ يـقـدـمـ لـهـاـ الـشـواـهـدـ وـالـمـبـرـراتـ مـنـ دـاـخـلـ الـعـلـومـ الـطـبـيـعـيـةـ الـحـدـيـثـةـ التـيـ تـدـعـمـ مـوـقـعـهـ هـذـاـ (ـ١ـ٦ـ)،ـ وـلـكـنـ هـلـ تـجاـوـزـ الـعـقـلـ الـمـعـرـفـيـ اـطـارـهـ الـاشـكـالـيـ بـهـذـهـ الـخـطـوـةـ الـبـوـبـرـيـةـ؟ـ يـمـكـنـ أـنـ نـقـولـ أـنـ لـمـ يـتـجـاـزـ ذـلـكـ،ـ لـأـنـهـ عـلـىـ الـعـكـسـ فـتـحـ نـقـاشـاـ وـاسـعـاـ وـابـوـبـاـ كـثـيرـاـ حـوـلـ الـمـعـرـفـةـ عـزـزـتـ طـابـعـهـاـ الـاشـكـالـيـ وـلـمـ تـتـهـ الجـدـلـ حـوـلـهـ.

رابعاً: فلسفة العلم بين الاستدلالي ونظرية المعرفة

Philosophy of Science Between Epistemology and Theory of Knowledge)

بناءً على التحديد الأولي للمفاهيم الثلاثة السابقة الذكر فإنه يمكن القول ان فلسفة العلم هي محاولة عميقـةـ لـفـهـمـ الـعـلـمـ وـتـحـلـيلـهـ تـارـيـخـاـ وـمـنـهـجـاـ.ـ ذـلـكـ انـ الثـورـةـ الـعـلـمـيـةـ التـيـ بـدـأـتـ بـالـتـطـوـرـ الـفـعـلـيـ مـعـ نـهـاـيـاتـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ وـاسـتـمـرـتـ بـعـمـلـيـةـ تـصـاعـدـيـةـ هـائـلـةـ،ـ حتـىـ أـنـهـ يـقـالـ وـبـكـلـ جـدـارـةـ انـ الـبـشـرـيـةـ حـقـقـتـ بـالـعـلـمـ خـلـالـ مـئـةـ سـنـةـ مـاـ لـمـ تـحـقـقـهـ خـلـالـ تـارـيخـهـاـ الطـوـلـيـ بـأـكـملـهـ،ـ وـذـلـكـ بـفـضـلـ التـقـدـمـ الـعـلـمـيـ عـلـىـ كـافـةـ الـاـصـعـدـةـ وـكـلـ الـمـجـالـاتـ مـاـ أـتـاحـ لـلـتـفـكـيرـ الـفـلـسـفـيـ فـيـ الـعـلـمـ مـجـالـاتـ وـفـضـاءـاتـ لـمـ تـكـنـ يـسـطـعـ بـلـوـغـهـاـ بـحـالـ مـنـ الـاحـوالـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ انـ الـمـعـرـفـةـ الـعـلـمـيـةـ تـؤـثـرـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ لـاـ يـمـكـنـ انـ يـكـونـ نـظـرـاـ مـجـتـزـأـ،ـ بـمـعـنـىـ اـنـهـ لـاـ يـرـاعـيـ التـطـوـرـ الـهـائـلـ فـيـ الـعـلـمـ ذـاتـهـ مـنـ نـاحـيـةـ تـارـيـخـيـةـ.ـ وـلـهـذـاـ فـإـنـاـ سـوـفـ نـجـدـ انـ التـفـلـسـفـ فـيـ الـعـلـمـ اوـ مـحاـوـلـةـ تـحـلـيلـهـ مـنـطـقـيـاـ لـمـ تـكـنـ جـدـيـدةـ بـالـمـعـنـىـ الدـقـيقـ،ـ ذـلـكـ انـ هـذـهـ الـمـحاـوـلـاتـ نـشـأـتـ مـعـ وـلـادـةـ الـعـلـمـ مـنـ بـدـايـاتـ الـاـولـىـ التـيـ كـانـتـ بـسـيـطـةـ وـسـاذـجـةـ قـيـاسـاـ مـعـ مـاـ هـوـ قـائـمـ اـلـآنـ.ـ وـإـلاـ كـيـفـ نـفـسـ مـثـلـاـ مـحاـوـلـاتـ اـرـسـطـوـ فـيـ وـضـعـ مـنـهـجـ حـسـيـ قـائـمـ عـلـىـ الـاستـقـراءـ لـأـجلـ مـعـرـفـةـ الـقـضـاـيـاـ الـعـلـمـيـةـ،ـ وـكـيـفـ نـفـسـ تـحـلـيلـهـ لـكـثـيرـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ الـعـلـمـيـةـ مـنـطـقـيـاـ مـثـلـ قـضـيـةـ سـقـوـطـ الـاجـسـامـ،ـ وـالـقـضـاـيـاـ الـاخـرـىـ التـيـ قـدـمـهـاـ بـطـلـيمـوسـ بـوـصـفـهـ مـثـلـاـ لـلـعـالـمـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ.ـ وـكـيـفـ نـفـسـ ثـورـةـ دـيـكارـتـ وـبـيـكـونـ وـكـنـطـ وـغـيرـهـ فـيـ سـبـيلـ اـيـجادـ طـرـيـقـةـ لـلـكـشـفـ الـعـلـمـيـ الصـحـيـحـ وـكـذـلـكـ الـمـحاـوـلـاتـ الـكـثـيـرـةـ لـتـفـسـيـرـ الـظـواـهـرـ الـعـلـمـيـةـ آـنـذـاكـ مـثـلـ الـجـاذـبـيـةـ وـالـأـوـكـسـجـيـنـ وـالـبـصـرـيـاتـ وـغـيرـهـ.ـ إـذـاـ يـمـكـنـ القـوـلـ اـنـ التـفـكـيرـ فـلـسـفـيـاـ فـيـ قـضـاـيـاـ الـعـلـمـ لـمـ يـكـنـ جـدـيـداـ بلـ هـوـ مـمـتـدـ تـارـيـخـيـاـ،ـ غـيرـ اـنـهـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ اـتـخـذـ طـابـعـ جـدـيـداـ يـتـنـاسـبـ مـعـ الـتـطـوـرـ الـعـلـمـيـ الـهـائـلـ.ـ وـمـاـ الجـدـلـ الطـوـلـيـ فـيـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ مـنـ جـهـةـ،ـ وـالـاـسـتـدـلـالـيـاـ وـنـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ مـنـ جـهـةـ اـخـرـىـ،ـ سـوـىـ نـتـاجـ لـلـصـيـرـوـرـةـ الـتـارـيـخـيـةـ لـهـذـاـ الـمـفـهـومـ،ـ ذـلـكـ اـنـ لـاـ يـمـكـنـ الفـصـلـ بـيـنـ نـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ وـفـلـسـفـةـ الـعـلـمـ فـصـلـاـ كـلـيـاـ،ـ لـاـنـ الـأـخـيـرـةـ قـطـعاـ هـيـ مـنـ تـجـلـيـاتـ الـاـولـىـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـحـدـيـثـةـ،ـ فـالـبـحـثـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـعـلـومـ لـهـ صـلـةـ تـارـيـخـيـةـ وـاـضـحـةـ بـالـبـحـثـ فـيـ نـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـهـوـ مـاـ دـعـاـ الـاتـجـاهـ الـانـكـلوـسـكـوـنـيـ إلىـ الـرـبـطـ بـيـنـ الـاـسـتـدـلـالـيـاـ وـنـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ فـيـ سـيـاقـ وـاحـدـ هـوـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ التـيـ تـبـحـثـ فـيـ تـارـيخـ الـعـلـمـ وـتـحـلـيلـهـ مـنـطـقـيـاـ وـكـذـلـكـ تـبـحـثـهـ فـيـ مـنـاهـجـهـ وـاتـجـاهـاتـهـ الـمـعـرـفـيـةـ.

الا ان البحث الجديد في قضایا الفیزیاء الحدیثة انتج قطیعة مع نظریات المعرفة بشكل عام بوصفها (نظریات المعرفة) وقعت في فخ المناهج في حين ان العلم لا يعتمد المناهج، وهو ما فعله کارل بوبر وغاستون باشلار في المماثلة بين روح العلم وروح الفن حيث عملا - وخصوصا باشلار - على أن يفسفا العلم والفن معا بنفس المنطلقات القیمية^(١٧)، إذ إن كليهما لا يعتمد على منهج بل يعتمد على الكشف والابداع بوصفهما مجالا للخلق المبدع. وهو ذات العمل الذي قام به توماس کون في محاولته لمعرفة واستكشاف بنية الثورات العلمية من خلال تحليل الامثلة العلمية التي لعبت دوراً كبيراً في فلسنته، فابتعد تمام البعد عن فكرة المنهج مما يجعل فلسفة العلم عنده عبارة عن محاولة للكشف عن طبيعة سیر العلم وتحولاته بغض النظر عن تحديد منهج هذا السیر واتجاهه ومصدره. وهو ما يشير الى ان الخلط الحاصل في مفهوم فلسفة العلم لم يكن بعيداً عن مسار العلم ذاته وعن طبيعة تحولاتة الكبيرة عبر تاريخه مما يدل على ان الاستخدام المزدوج لكلمة (فلسفة العلم) في التحليل المنطقی للعلم تارة، وفي المناهج تارة اخرى لا يعد خللاً في بنية هذا الموضوع، طبعاً بشرط تحديد دلالته ابتدأه حتى يستطيع الباحث او القارئ التمييز بين ما هو من هذا الاتجاه او من ذلك او ما يجمعهما.

١. العلم وفلسفته تاريخياً (*Science and its Philosophers Historically*)

هل الفلسفـةـ أمـثالـ اـرسـطـوـ وـديـکـارـتـ وـکـنـطـ، هلـ هـمـ فـلـاسـفـةـ علمـ بالـمعـنـىـ الدـقـيقـ اـمـ لاـ؟ـ فيـ الـبـحـثـ عنـ هـذـهـ فـلـاسـفـةـ نـجـدـ أـنـ اـرسـطـوـ فـرـقـ بـيـنـ نـوـعـيـنـ مـنـ الـعـلـومـ النـظـرـيـةـ، حيثـ اـعـتـرـ الفلـسـفـةـ الـأـوـلـىـ الـتـيـ هيـ عـلـمـ الـمـوـجـودـ بـمـاـ هوـ مـوـجـودـ هيـ عـلـمـ الـاـسـاسـيـ الـذـيـ وـفـقـاـ لـهـ يـحـددـ اـتـجـاهـ الـاـنـسـانـ الـفـكـرـيـ وـحـرـکـتـهـ فـيـ الـوـجـودـ. وـتـأـتـيـ بـعـدـ هـذـهـ فـلـسـفـةـ الـأـوـلـىـ، فـلـسـفـةـ الـثـانـيـةـ الـتـيـ تمـثـلـ الـبـعـدـ الـمـادـيـ وـهـيـ عـنـدـهـ عـلـمـ الطـبـيـعـيـ وـتـحـدـيـداـ الـرـیـاضـیـاتـ وـالـفـیـزـیـاءـ^(١٨).

وـقـدـ قـامـ اـرسـطـوـ فـعـلـاـ بـمـحاـواـلـاتـ لـتـفـسـيرـ بـعـضـ الـظـواـهـرـ فـيـ الطـبـيـعـةـ تـفـسـيـراـ فـلـسـفـيـاـ وـتـحـلـيلـهـاـ منـطـقـيـاـ وـاعـطـائـهـاـ الـمـبـرـرـاتـ الـعـقـلـيـةـ الـلـازـمـةـ، وـقـدـ بـنـىـ فـكـرـهـ الـفـلـسـفـيـ فـيـ عـلـمـ الطـبـيـعـيـ اـسـاسـاـ عـلـىـ فـكـرـةـ الـغـائـيـةـ، حيثـ يـرـىـ (ـوـولـترـ سـتـيـسـ)ـ انـ جـوـهـرـ فـلـسـفـةـ اـرسـطـوـ فـيـ الطـبـيـعـةـ يـقـومـ عـلـىـ مـبـداـ الـغـائـيـةـ^(١٩)ـ،ـ مـاـ يـدـخـلـ ضـمـنـ الـاطـارـ الـعـامـ الـمـحـدـدـ لـفـلـسـفـةـ عـلـمـ.

أـمـاـ مـنـ جـهـةـ الـمـنـهـجـ وـالـتـأـسـیـسـ الـمـعـرـفـيـ الـأـوـلـ لـهـذـهـ اـتـجـاهـ فـقـدـ وـضـعـ اـرسـطـوـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ وـتـحـدـيـداـ مـبـداـ الـاـسـتـقـراءـ الـذـيـ كـانـ يـهـدـفـ مـنـ إـلـىـ اـكـتـشـافـ الطـبـيـعـةـ بـوـصـفـهـ مـنـهـجاـ لـاـسـتـقـصـاءـ الـجـزـئـيـاتـ الـمـخـلـفـةـ فـيـهـاـ وـمـاـ يـدـخـلـ ضـمـنـ الـاطـارـ الـعـامـ الـمـحـدـدـ لـفـلـسـفـةـ عـلـمـ.

أـمـاـ دـیـکـارـتـ فـانـ الـمـعـرـوفـ عـنـهـ اـنـهـ اـهـتـمـ اـهـتمـاماـ شـدـیدـاـ بـالـرـیـاضـیـاتـ وـجـعـلـ مـنـهـاـ اـسـاسـاـ لـبـنـاءـ فـلـسـفـيـ مـعـمـقـ،ـ كـماـ اـنـهـ اـهـتـمـ بـالـفـیـزـیـاءـ بـشـکـلـ کـبـیرـ حـتـىـ اـنـهـ اـعـتـرـهـاـ بـمـثـابـةـ الـجـذـعـ بـالـنـسـبـةـ لـشـجـرـةـ الـفـلـسـفـةـ بـشـکـلـ عـامـ،ـ كـماـ اـنـهـ عـرـفـ عـلـمـ بـاـنـهـ هـوـ الـمـعـرـفـةـ الـتـيـ تـتـوـخـيـ الـحـقـيـقـةـ وـهـوـ بـذـلـكـ يـجـدـ مـکـانـهـ فـيـ مـصـافـ الـمـعـرـفـةـ الـعـقـلـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ^(٢٠).

وـلـمـ يـكـنـ دـیـکـارـتـ بـهـذـاـ الـمـعـنـىـ اـنـمـاـ تـعـدـىـ الـتـحـلـيلـ الـكـثـيرـ مـنـ الـاـفـکـارـ الـفـیـزـیـائـیـةـ مـثـلـ الـحـرـکـةـ وـالـضـوءـ وـطـبـیـعـةـ الـاـجـسـامـ.ـ تـحـلـیـلـاـ منـطـقـیـاـ فـلـسـفـیـاـ فـاسـبـغـ عـلـیـهـاـ مـعـقـولـیـةـ لـمـ تـكـنـ بـلـغـتـ الـیـهـاـ الـفـلـسـفـةـ وـالـتـفـکـیرـ الـعـلـمـیـ آـنـذاـکـ،ـ وـلـهـذـاـ عـدـ دـیـکـارـتـ أـبـاـ لـلـعـقـلـانـیـةـ الـحـدـیـثـةـ وـذـلـکـ مـنـ خـلـالـ قـدرـتـهـ الـعـالـیـةـ عـلـىـ تـحـلـیـلـ الـعـقـلـیـ لـلـاـفـکـارـ وـالـقـضـایـاـ سـوـاءـ فـیـ الطـبـیـعـةـ اوـ فـیـ الـمـیـتـاـفـیـزـیـقاـ^(٢١)ـ تـحـلـیـلـاـ مـبـنـیـاـ وـفقـ مـبـداـ الشـکـ المـنـهـجـیـ الـذـيـ دـفـعـ الـتـفـکـیرـ الـعـلـمـیـ وـالـفـلـسـفـیـ الـىـ اـقـصـیـ حدـودـهـ.

أـمـاـ کـنـطـ فقدـ وـصـلـ بـحـدـودـ الـمـعـرـفـةـ الـعـلـمـیـ الـىـ مـدـیـاتـ بـعـدـیـةـ جـدـاـ ذـلـکـ اـنـهـ اـسـسـ لـمـنـهـجـ فـیـ تـحـلـیـلـ النـقـدـیـ أـصـبـحـ اـسـاسـاـ لـتـطـوـرـ الـفـکـرـ وـالـعـلـمـ فـیـ عـصـرـ التـنـوـیرـ وـلـاـیـزـالـ تـأـثـیرـهـ قـائـمـاـ

حتى الساعة. وقد كان تميـزه بين الـاحـكام التـحلـيلـية والـاحـكام التـركـيبـية أثـرـاً بالـغاً في دفع التـفـكـير الفـلـسـفي في الـعـلم قـدـماً. كما أنـ تمـيـزـه بين (الـنوـميـن) و(الـفـينـومـين) حـدـدـ ما يـمـكـنـ أنـ يـؤـديـ إلىـ عـلمـ حـقـيقـيـ ويـقـيـنيـ وـمـاـ لاـ يـمـكـنـ أنـ يـؤـديـ إلىـ ذـلـكـ، فـالـعـلمـ بـالـظـواـهـرـ هوـ: "عـلمـ يـقـيـنيـ فيـ حدـودـ مـجـالـهـ السـلـيمـ" (٢٢). وـلـيـسـ الغـرـضـ هـنـاـ عـرـضـ فـلـسـفـةـ كـنـطـ فيـ مـجـالـ نـقـدـ الـعـلمـ الطـبـيـعـيـ انـماـ الفـكـرـةـ هيـ انـ تـحـلـيلـهـ لـمـنـهـجـ الذـيـ يـقـوـدـ إـلـىـ تـشـكـيلـ مـعـرـفـةـ عـلـمـيـةـ رـصـيـنـةـ كـانـ لهـ الـأـثـرـ الـكـبـيرـ عـلـىـ نـمـوـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ فـيـ الـعـرـفـةـ الـجـدـيـدـةـ لـاسـيـمـاـ فـيـ عـصـرـ التـتـوـرـ وـمـعـ اـنـبـاثـ الـتـفـكـيرـ الـفـلـسـفيـ فـيـ الـعـلمـ، بـمـعـنـىـ انهـ قـدـ اـسـسـ جـلـيلـةـ لـفـلـسـفـةـ الـعـلـمـ الـحـدـيـثـةـ.

يتـبـيـنـ مـنـ هـذـاـ عـرـضـ الـمـقـضـبـ لـبعـضـ اـفـكـارـ الـفـلـسـفـةـ الـثـلـاثـةـ الـكـبـارـ انـهـ كـانـواـ فـلـسـفـةـ عـلـمـ بـالـمـصـطـلحـ الـجـدـيـدـ غـيرـ أـنـ هـذـاـ التـحـدـيدـ لـاـ يـأـخـذـ مـصـدـاقـيـةـ مـنـ وـاقـعـ الـبـحـثـ الـمـعاـصـرـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ الذـيـ اـتـخـذـ اـشـكـالـاًـ جـدـيـدـةـ وـدـخـلـ مـدـيـاتـ لـمـ يـكـنـ مـنـ الـمـمـكـنـ دـخـولـهـاـ بـفـضـلـ الـتـطـورـ الـهـائـلـ الذـيـ شـهـدـهـ الـعـلـمـ ذاتـهـ، انـماـ هـذـاـ التـحـدـيدـ يـجـدـ مـصـدـاقـيـتـهـ مـعـ النـظـرـةـ الـمـوـضـوـعـيـةـ الـمـقـرـنـةـ بـمـعـرـفـةـ طـبـيـعـةـ الـمـرـحـلـةـ الـتـارـيـخـيـةـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـفـلـسـفـةـ وـمـاـ كـانـتـ تـكـنـفـهـ مـنـ مـعـارـفـ وـاتـجـاهـاتـ وـافـكـارـ سـوـاءـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـفـلـسـفـةـ ذاتـهاـ أـمـ فيـ الـحـقـلـ الـعـلـمـيـ. وـبـهـذاـ فـإـنـاـ نـتـبـنـىـ توـسيـعـاًـ لـمـفـهـومـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ يـكـونـ ذـاـ أـثـرـ رـجـعـيـ، وـذـلـكـ بـإـدخـالـ الـعـنـصـرـ الـتـارـيـخـيـ وـطـبـيـعـةـ الـتـطـورـ الـعـلـمـيـ الذـيـ كـانـ يـرـافقـ الـمـراـحـلـ الـتـارـيـخـيـةـ الـمـخـلـفـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـفـهـومـ وـلـيـسـ الـاقـتصـارـ عـلـىـ الـدـرـاسـةـ الـمـعـاـصـرـةـ لـلـتـنـاجـ الـعـلـمـيـ فـحـسبـ.

٢. الـعـلـمـ وـالـوـضـعـيـةـ الـمـنـطـقـيـةـ (Science and Logical Positivity)

فيـ الـوقـتـ الذـيـ اـنـصـبـتـ مـحاـولـةـ فـلـسـفـةـ الـوـضـعـيـةـ الـاـولـ (اوـغـسـتـ كـونـتـ) عـلـىـ اـنـشـاءـ اـخـتـصـاصـ عـلـمـيـ جـدـيـدـ يـتوـافـقـ مـعـ الـمـرـحـلـةـ الـجـدـيـدـةـ التـيـ تـعـيـشـهاـ الـبـشـرـيـةـ مـنـ تـارـيـخـهاـ الـتـطـورـيـ وـهـيـ الـمـرـحـلـةـ الـوـضـعـيـةـ ايـ الـمـرـحـلـةـ التـيـ يـكـونـ الـعـلـمـ هوـ الـمـعـرـفـةـ الـحـقـيقـيـةـ التـيـ تـؤـطـرـ حـيـاةـ الـاـنـسـانـ، وـهـذـاـ الـاـخـتـصـاصـ لـهـ مـهـمـةـ أـسـاسـيـةـ هيـ (درـاسـةـ التـعـمـيـمـاتـ الـعـلـمـيـةـ) (٢٣)، اوـ بـمـعـنـىـ آخـرـ مـحاـولـةـ لـبـنـاءـ اـتـجـاهـ جـدـيـدـ فـيـ الـوـعـيـ الـفـلـسـفـيـ، وـهـوـ اـتـجـاهـ الـذـيـ نـحـنـ بـصـدـدهـ ايـ (فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ) إـذـ إـنـ درـاسـةـ التـعـمـيـمـاتـ الـعـلـمـيـةـ هيـ عـلـىـ الـاـقـلـ اـحـدـيـ الـمـسـائـلـ التـيـ تـعـنـىـ بـهـاـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ فـيـ الـوـقـتـ الـحـاضـرـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ الـوـعـيـ الـمـبـكـرـ لـكـونـتـ فـيـ هـذـاـ اـتـجـاهـ. فـيـ هـذـاـ الـوـقـتـ الذـيـ حـاـولـ كـونـتـ بـنـاءـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ بـالـمـعـنـىـ الـحـدـيـثـ اـتـجـهـتـ الـوـضـعـيـةـ الـجـدـيـدـةـ وـتـحدـيـداًـ فـيـ اـعـمـالـ (ماـخـ)ـ وـ(شـليـكـ)ـ وـ(كـارـنـابـ)ـ وـ(ريـشنـباـخـ)ـ وـغـيرـهـمـ الـىـ تـحدـيدـ الـمـنـهـجـ الذـيـ يـمـكـنـ مـنـ خـلـالـهـ التـمـيـزـ بـيـنـ مـاـ هـوـ عـلـمـيـ وـمـاـ هـوـ غـيرـ عـلـمـيـ فـيـ الـمـعـرـفـةـ، وـاستـنـتـجـوـاـ فـكـرـتـهـمـ الـمـشـهـورـةـ وـهـيـ: (انـ كـلـ مـاـ لـاـ يـمـكـنـ اـخـتـبـارـهـ تـجـرـيـبـيـاًـ فـانـهـ خـالـ منـ الـمـعـنـىـ)ـ وـلـيـسـ ذـاـ دـلـلـةـ وـبـالـتـالـيـ لـيـسـ مـعـرـفـةـ وـلـاـ يـنـدـرـجـ ضـمـنـ مـاـ يـدـرـسـ. وـهـذـاـ اـتـجـاهـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـالـعـلـمـ، لـأـنـهـ يـحـاـولـ اـسـتـبـعـادـ فـيـ اـنـهـ مـعـرـفـةـ فـقـطـ مـنـ دـوـنـ اـنـ يـوـضـعـ الـمـنـهـجـ الـاـسـاسـيـ فـيـ الـكـشـفـ الـعـلـمـيـ، لـأـنـ الـاعـتمـادـ عـلـىـ الـحـسـ وـالـتـجـربـةـ لـيـسـ اـبـدـاعـاًـ وـضـعـيـاًـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ. غـيرـ أـنـ الـمـحاـولـةـ الـجـدـيـرـةـ بـالـاـهـتـمـامـ فـيـ الـوـضـعـيـةـ هـيـ مـحاـولـةـ تـحـلـيلـ لـغـةـ الـعـلـمـ وـفقـ مـنـاهـجـ لـغـويـةـ حـدـيـثـةـ اـسـسـ لـهـاـ فـلـسـفـةـ الـوـضـعـيـةـ الـمـنـطـقـيـةـ فـيـ حـلـقـةـ (فـيـنـاـ)ـ وـنـضـجـتـ بـشـكـلـ اـكـبـرـ عـنـ (فـتـغـشـتـاـيـنـ)ـ وـلـكـنـهاـ تـظـلـ خـارـجـ اـطـارـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ بـالـمـعـنـىـ الـدـقـيقـ.

وـبـالـتـالـيـ فـانـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـاـنـبـهـارـ الشـدـيدـ لـدـىـ الـوـضـعـيـنـ بـالـإـنجـازـاتـ الـعـلـمـيـةـ وـرـغـمـ مـعـاـيشـتـهـمـ الـلـتـطـورـاتـ الـهـائـلـةـ فـيـ الـعـلـمـ الـحـدـيـثـ إـلاـ انـهـ لـمـ يـنـتـجـوـاـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ بـالـمـعـنـىـ الشـامـلـ، بلـ تـرـكـ اـهـتـمـامـهـمـ فـيـ الـمـنـهـجـ اـسـاسـاًـ ثـمـ فـيـ التـحـلـيلـ الـلـغـويـ. غـيرـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـعـنـيـ اـنـاـ نـسـلـخـ مـنـهـمـ صـفـةـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ، لـأـنـهـذـاـ الـمـعـنـىـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـبـرـراتـ اـكـبـرـ مـنـ الـحـالـيـةـ.

ذلك انهم من اكثـر علمـاء وفـلـاسـفة العـصـر الـحـدـيث اـشـتـغـالـاً بـالـعـلـم، اـما تـقـيـيم مـحاـولـاتـهـم فـهـذـا أـمـر يـتـبع الـاتـجـاهـ الـفـكـريـ الـذـي يـنـطـلـقـ مـنـهـ الـبـاحـثـ وـهـوـ ماـ حـدـثـ مـعـ كـارـلـ بـوـيرـ الـذـي وجـهـ نـقـداً لـاذـعـاً لـلـوـضـعـيـةـ حـتـىـ يـمـكـنـ القـوـلـ اـنـهـ جـرـدـهـ مـنـ سـمـةـ الـعـلـمـيـةـ وـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ نـسـفـ الـاسـاسـ الـذـي بـنـيـتـ عـلـيـهـ الـوـضـعـيـةـ وـهـوـ مـبـداًـ (ـالـاسـتـقـراءـ)، الـذـي يـعـدـهـ كـارـلـ بـوـيرـ (ـخـرـافـةـ)ـ قـيـدـتـ تـارـيخـ الـعـلـمـ لـقـرـونـ طـوـيلـةـ^(٢٤)ـ.

٣. مـحاـولـةـ لـلـفـهـمـ (Try to Understand)

فيـ نـهـاـيـةـ هـذـاـ مـطـافـ فـإـنـيـ أـحـاـولـ أـنـ اـقـومـ بـمـعـالـجـةـ تـهـدـفـ إـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الـفـهـمـ لـاـتـجـاهـاتـ نـظـرـيـةـ الـمـعـرـفـةـ وـفـلـاسـفـةـ الـعـلـمـ وـمـجـالـاتـهـ أـوـلـاًـ، وـمـنـ ثـمـ الدـورـ الـمـتـرـقـبـ مـنـهاـ ثـانـيـاًـ.ـ فـقـدـ وـجـدـنـاـ أـنـ مـحاـولـاتـ الـهـرـوبـ مـنـ (ـالـمـنـهـجـ)ـ الـذـيـ يـهـدـفـ أـنـ يـصـفـ لـلـعـلـمـ طـرـيقـهـ لـمـ تـكـنـ مـوـفـقـةـ كـثـيرـاًـ ذـلـكـ اـنـهـ تـقـعـ فـيـ نـفـسـ الـاـشـكـالـيـةـ الـتـيـ تـهـرـبـ مـنـهاـ، فـمـثـلاًـ نـقـدـ (ـبـوـيرـ)ـ لـتـأـسـيـسـ مـنـهـجـ لـلـعـلـمـ قـائـمـ عـلـىـ الـاسـتـقـراءـ وـمـحاـولـتـهـ الـخـرـوجـ مـنـ دـائـرـةـ الـمـناـهـجـ بـدـعـوـىـ أـنـ الـعـلـمـ لـاـ يـسـيـرـ وـقـقـ مـنـهـجـ اـنـمـاـ لـهـ خـصـوصـيـتـهـ الـتـيـ تـحرـكـهـ وـالـتـيـ لـاـ يـمـكـنـ التـكـنـهـ بـهـاـ،ـ أـوـقـعـتـهـ فـيـ سـيـاقـ آـخـرـ،ـ وـلـكـنـهـ مـؤـسـسـ عـلـىـ مـنـهـجـ جـدـيدـ هوـ الـمـنـهـجـ الـقـائـمـ عـلـىـ مـبـداًـ الـتـكـذـيبـ وـمـحاـولـةـ وـالـخـطـأـ،ـ إـذـ يـمـكـنـ اـنـ نـتـسـاءـلـ أـلـيـسـ هـذـاـ مـنـهـاجـ جـدـيدـاًـ مـقـرـحاًـ لـلـكـشـفـ الـعـلـمـيـ؟ـ ثـمـ عـنـدـمـاـ يـحـلـ (ـتـوـمـاسـ كـوـنـ)ـ الـظـواـهـرـ وـالـكـشـوفـاتـ وـالـمـاثـلـةـ الـعـلـمـيـةـ وـفـقـاًـ لـكـشـفـهـ الـجـدـيدـ الـذـيـ يـعـتـبـرـ تـارـيخـ الـعـلـمـ هوـ سـلـسلـةـ مـنـ التـحـولـاتـ الـكـبـرـىـ (ـالـتـورـاتـ)،ـ وـيـصـوـغـ مـفـاهـيمـ مـثـلـ الـالـغـازـ وـالـازـمـةـ وـالـبرـادـيمـ وـالـعـلـمـ الـقـيـاسـيـ.ـ أـلـيـسـ فـيـ ذـلـكـ تـأـسـيـسـ لـمـنـهـجـ جـدـيدـ قـائـمـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـبـادـىـ؟ـ

وـصـفـوـةـ الـقـوـلـ إـنـ الـاتـجـاهـ الـجـدـيدـ لـفـلـاسـفـةـ الـعـلـمـ لـاـ يـمـكـنـ النـصـلـ فـيـهـ بـيـنـ الـبـحـثـ عـنـ الـمـنـهـجـ وـتـحـلـيلـ الـظـواـهـرـ الـعـلـمـيـةـ،ـ كـمـاـ اـنـهـ لـاـ يـفـصـلـ بـيـنـ مـفـهـومـ الـكـشـفـ وـمـفـهـومـ التـبـرـيرـ،ـ اوـ بـمـعـنـىـ اـنـهـ يـحـتـاجـهـمـ مـعـاًـ ذـلـكـ أـنـ الـكـشـفـ الـعـلـمـيـ يـحـتـاجـ (ـمـنـطـقـيـاًـ)ـ إـلـىـ تـحـلـيلـ فـلـسـفـيـ،ـ اوـ بـمـعـنـىـ آـخـرـ تـبـرـirـ مـنـطـقـيـ يـدـعـونـاـ لـتـكـوـينـ الـافـكارـ وـالـاعـقـادـاتـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـظـواـهـرـ الـعـلـمـيـةـ،ـ كـمـاـ حـدـثـ مـعـ مـفـاهـيمـ مـثـلـ الـفـوـضـيـ وـالـحـتـمـيـةـ،ـ وـمـفـاهـيمـ اـخـرىـ تـتـصـلـ بـالـقـيـمـ الـاخـلـاقـيـةـ وـالـاـنسـانـيـةـ مـنـ حـيـثـ عـلـاقـتهاـ بـهـذـاـ الـكـشـفـ وـمـحاـولـةـ تـبـرـirـهـ قـيمـيـاًـ.

مـاـ يـعـنـيـ اـنـنـاـ فـيـ سـبـيلـ تـكـوـينـ صـورـةـ تـحـظـىـ بـالـمـقـبـولـيـةـ الـعـقـلـانـيـةـ عـنـ اـتـجـاهـاتـ (ـفـلـاسـفـةـ الـعـلـمـ)ـ قـدـ نـضـطـرـ إـلـىـ فـسـحـ الـمـجـالـ وـاسـعـاًـ اـمـامـ هـذـاـ حـقـلـ الـجـدـيدـ مـنـ الـمـعـرـفـةـ مـنـ اـجـلـ اـنـ يـمـتـدـ إـلـىـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـجـالـاتـ سـوـاءـ فـيـ تـحـدـيدـ الـمـنـاهـجـ،ـ اـمـ تـحـلـيلـ الـكـشـوفـاتـ مـنـطـقـيـاًـ،ـ اـمـ بـتـقـديـمـ الـمـبـرـراتـ الـمـنـطـقـيـةـ لـهـاـ،ـ اـمـ تـقـديـمـ الـمـبـرـراتـ الـقـيـاسـيـةـ لـهـاـ،ـ اـمـ بـدـرـاسـةـ اـثـرـهـاـ عـلـىـ حـيـاةـ الـاـنـسـانـ بـكـافـةـ اـشـكـالـهـاـ.ـ وـعـنـدـهـاـ يـمـكـنـ القـوـلـ بـاـنـ هـذـاـ حـقـلـ الـمـعـرـفـيـ سـيـكـونـ قـادـراًـ بـاـمـتـيـازـ عـلـىـ اـنـ يـحـتـلـ مـوـقـعـ الصـدارـةـ فـيـ الـوـعـيـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعاـصـرـ.

الخاتمة: (Epilogue)

ان المعرفة البشرية هي من اولى القضايا التي شغلت العقل الفلسفى ولازال تشغله وما محاولات وضع علم المنطق القديم والجديد، ومحاولات وضع منطق للعلوم الحديثة فيما يعرف اليوم بعلم مناهج البحث في العلوم سواء أكانت الطبيعية او الاجتماعية، وما المحاولات الكبيرة لدراسة تاريخ العلم وفلسفة العلم، وغيرها، إلا اسهامات جادة من اجل الخروج من اشكالية المعرفة، لأن المعرفة تمثل طموحاً انسانياً لتكوين صورة شاملة عن الكون والحياة والطبيعة والانسان.

وأستناداً إلى ما تقدم فإننا نضع بين يدي القارئ الكريم الاستنتاجات الآتية:

- ان الطبيعة الإشكالية للمعرفة الإنسانية تظل قائمة رغم كل المحاولات القديمة والحديثة التي تبنت رؤى منطقية وفلسفية من أجل الوصول إلى حلول لمشكلات المعرفة، ذلك أنها تظل في صيورة دائمة بسبب ارتباطها بشغف العقل البشري وطموحه المعرفي الذي يتطور باستمرار.
 - إن هذا الشغف هو فضول مشروع من ناحية معرفية، لأن الإنسان غالباً ما يريد الوصول إلى اليقين والاطمئنان النفسي تجاه خزينه المعلوماتي والمعرفي، رغم معرفته أنه لن يصل إلى هذه الغاية.
 - إن العقل البشري يبتكر - على الدوام - حلولاً تجعله قادراً على الاطمئنان النفسي تجاه معارفه، ليبرر صحتها وعقليتها، وليعوض التهافت الذي قد يحصل بين الطبيعة الإشكالية للمعرفة وبين حالة الاعتقاد الذاتي والاطمئنان النفسي الذي يشعر به تجاهها.

ثبت المراجع: (References)

١. محمد عابد الجابري. مدخل الى فلسفة العلوم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٦).
 ٢. اندريه لالاند. موسوعة لالاند الفلسفية. تعریب خليل احمد خليل. بيروت: منشورات عویدات (١٩٩٦).
 ٣. بيتر كونزمان وفرانز بيتر بوركارد وفرانز فيدمان. أطلس الفلسفة. ترجمة جورج كتوره. بيروت: المكتبة الشرقية (٢٠٠٧).
 ٤. يمنى طريف الخولي. فلسفة العلم في القرن العشرين. الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٠٠٠).
 ٥. عادل العوا. المذاهب الفلسفية. دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩).
 ٦. لودفيغ فاغنستاين. رسالة منطقية فلسفية. ترجمة عزمي اسلام. القاهرة: (١٩٦٨).
 ٧. محمد رضا المظفر. المنطق. قم: منشورات دار الغدير (١٤٢٦ هـ).
 ٨. محمد باقر الصدر. الاسس المنطقية للاستقراء. بيروت: دار التعارف للمطبوعات (١٩٩١).
 ٩. بول موبي. المنطق وفلسفة العلوم. ترجمة فؤاد حسن زكريا. القاهرة: دار نهضة مصر (دون تاريخ).
 ١٠. كامل حمود. تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: دار الفكر اليوناني (١٩٩٩).
 ١١. يمنى طريف الخولي. فلسفة كارل بوبر: منهج العلم منطق العلم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٩).

١٢. وولتر ستيتس. تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (٢٠٠٥).
١٣. يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة. بيروت: دار القلم (دون تاريخ).
١٤. كارل بوبر. منطق البحث العلمي. ترجمة محمد البغدادي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة (٢٠٠٦).
- الهوامش
١. محمد عابد الجابري. مدخل الى فلسفة العلوم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٦). ص. ١٨.
 ٢. اندريه لالاند. موسوعة لالاند الفلسفية. تعریب خليل احمد خليل. بيروت: منشورات عویدات (١٩٩٦). ص. ٣٥٧.
 ٣. بیتر کونزمان وفرانز بیتر بورکارد وفرانز فیدمان. اطلس الفلسفه. ترجمة جورج کتوره. بيروت: المكتبة الشرقية (٢٠٠٧). ص. ١٣.
 ٤. محمد عابد الجابري. مدخل الى فلسفة العلوم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٦). ص. ٢١.
 ٥. يمنى طريف الخولي. فلسفة العلم في القرن العشرين. الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٠٠٠). ص. ١٠.
 ٦. محمد عابد الجابري. مدخل الى فلسفة العلوم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٦). ص. ٢٤.
 ٧. عادل العوا. المذاهب الفلسفية. دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩). ص. ٢٦٧.
 ٨. لودفيغ فاغنستاین. رسالة منطقية فلسفية. ترجمة عزمي اسلام. القاهرة: (١٩٦٨). ص. ٦٧.
 ٩. محمد رضا المظفر. المنطق. قم: منشورات دار الغدير (١٤٢٦ هـ). ص. ١٣٧.
 ١٠. اندريه لالاند. موسوعة لالاند الفلسفية. تعریب خليل احمد خليل. بيروت: منشورات عویدات (١٩٩٦). ص. ١٤٥٥.
 ١١. محمد رضا المظفر. المنطق. قم: منشورات دار الغدير (١٤٢٦ هـ). ص. ٢٧٠.
 ١٢. المصدر نفسه. ص. ٢٧١.
 ١٣. محمد باقر الصدر. الاسس المنطقية للاستقراء. بيروت: دار التعارف للمطبوعات (١٩٩١). ص. ١٣٠.
 ١٤. بول موی. المنطق وفلسفة العلوم. ترجمة فؤاد حسن زكريا. القاهرة: دار نهضة مصر (دون تاريخ). ص. ٢٤٩.
 ١٥. كامل حمود. تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: دار الفكر اليوناني (١٩٩٩). ص. ٦٦.
 ١٦. يمنى طريف الخولي. فلسفة كارل بوبر: منهج العلم منطق العلم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٩). ص. ١٣٥.
 ١٧. يمنى طريف الخولي. فلسفة العلم في القرن العشرين. الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٠٠٠). ص. ٣٥٤.
 ١٨. عادل العوا. المذاهب الفلسفية. دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩). ص. ٤١.

١٩. ولتر ستيس. تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (٢٠٠٥). ص. ١٨٦.
٢٠. عادل العوا. المذاهب الفلسفية. دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩). ص. ٢٤٩.
٢١. يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة. بيروت: دار القلم (دون تاريخ). ص. ٨١.
٢٢. عادل العوا. المذاهب الفلسفية. دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩). ص. ٢٨٣.
٢٣. محمد عابد الجابري. مدخل الى فلسفة العلوم. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (٢٠٠٦). ص. ٢٦.
٢٤. كارل بوير. منطق البحث العلمي. ترجمة محمد البغدادي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة (٢٠٠٦). ص. ٦٣.

Knowledge and Philosophy of Science

An Attempt to Understand the Problematic Nature of Human Knowledge

Fadhl Abbas Mohsin Al-Farajullah

Philosophy Department

Doctoral School of Literature, Humanities & Social Sciences

Lebanese University, Beirut

fadelfarajullah@gmail.com

Abstract:

This research deals with the basic problem facing human knowledge, which is the way the mind acquires various knowledge and information, so what is the best way? What is the cognitive and scientific value of this knowledge from a methodological point of view? Also, what is the extent of the limits that the human mind can move through in this process of gaining, based on the capacity or limitations of these abilities it has? As well as what are the effects of modern natural sciences and their philosophy on the development of cognitive research? Although man in the various fields of science does not pay attention to his way of thinking, because he thinks, concludes, analyzes and constructs in an automatic way, but this issue differs when it is philosophically examined, as the need lies in searching beyond the scientific or social fact in order to determine the logical sequence through which the access was made. To the results, and the search for its value and its limits in terms of knowledge. This research has used the descriptive approach in addition to the use of criticism mechanisms such as deconstruction,

analysis and logical structure, and through this we explore that there are two main trends in the history of philosophy and logic, each of which worked to show the ways of acquiring human knowledge, its sources and limits, which are the rational trend and the experimental trend. As for modern and contemporary philosophy, the importance of working on research methods in science has emerged, while philosophy of science has become a distinct field in contemporary cognitive research, where we aim here to present these cognitive trends with an explanation of the problematic nature of the issue of human knowledge. The most important conclusion reached by the research is: that knowledge will remain of a permanent problematic nature, because it is a permanent question, and all the answers that come to us are doors to new questions, and they cannot be final or absolute answers. It is worth noting that most of the logical books and studies that dealt with epistemology, curricula, and philosophy of science have dealt with this topic from different angles, according to the cognitive trend it adopts.

Keywords: Theory of Knowledge, Philosophy of science, Epistemology, Rationalism, Empiricism.